

الاتجاه الحدائي ، وموقفه من المعجزات الحسية للنبي

محمد صلى الله عليه وسلم

(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

د / سمر عبد الفتاح حسب الله سيد أحمد

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالإسكندرية

الملخص

الاتجاه الحدائى، وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم
(دراسة تحليلية نقدية)

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسله بالحق مبشرين ومنذرين، وأيدهم بالمعجزات الباهرات؛ لتكون شهادة باقية إلى يوم الدين.
وبعد...

فقد حاول بعض ممن سمو أنفسهم بالحدائيين، أو العقلانيين، تناول العقيدة الإيمانية، وكانت لهم توجهات متعلقة بالمعجزات الحسية للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- خير البرية، منكرين إياها، أو متأولين، مقدمين بعض الشبهات التي ظنوها أدلة مقبولة، وما هي إلا أوهام وخرافات استقرت في عقولهم، متأثرين بالفكر الحدائى الغربى، الذي نظروا إليه على أنه طوق النجاة، فأخذوا يروجون أفكاره، ويبشرون بها بين أبناء المسلمين.

ولا شك أن إنكار المعجزات الحسية للنبي خير البرية فيه تكذيب لما جاءت به آيات الذكر الحكيم، وأفاضت بشأنه صحيح سنة النبي الكريم، ففيها الحديث عن خوارق العادات، مثبتات النبوة، مؤكدات الرسالة.
لذا رأيت أنه من الأهمية بمكان أن أبين أفكارهم المتعلقة بالمعجزات الحسية للنبي الكريم؛ رغبة في الذب عن رسالته، من حيث إن ذلك واجب شرعى، ونحن مستخلفون عنه في حفظ رسالته.

وقد جاء هذا البحث في: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، بجانب

ثبت للمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المقدمة: تتضمن أسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، والغايات

والأهداف، ومكونات البحث.

الفصل الأول: تحديد المفاهيم.

الفصل الثاني: تصنيفات الحدائين منكري المعجزات الحسية للنبي

صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث: أسباب وجود المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه

وسلم كما يراها الحدائون.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

Abstract

The Modernist Trend and its Approach Towards The
Tangible Miracles of prophet Mohammad

Peace and grace be upon him

(a critical and analytical study)

Praise to be Allah, the lord of the universe, who sent his messenger with the truth as with bearers of good tidings and warnings, and who strengthened them with marvelous miracles as an everlasting testimony until the day of judgement.

Henceforth

Some of those who call themselves the modernists, or the rationalists have attempted to discuss the Islamic faith from their own perspectives, denying the tangible miracles of prophet Mohammed– the pest of all creatures, peace and grace be upon him, or misinterpreting them using suspicious evidence that they deemed them acceptable .This are nothing but illusions and myths that are conceived by their minds which are influenced by the western modernists thought. the thought they regarded as their life raft, and thus, they propagated and advocated its ideas among Muslims.

There is no doubt that denying the tangible miracles of the pest of all creatures prophet is denying what is stated in the verses of the glorious Quran and the authentic

prophetic traditions where there is mention of extraordinary events that testifying to the reality of prophet-hood and to the truthfulness of the message.

As such, i believe it's important to discuss their thoughts regarding the tangible miracles of the noble prophet, wishing to defend his message as a religious duty and as being his successor in preserving the message.

This research consists of: an introduction , three chapters and a conclusion: in addition to resources, references and index.

The introduction: Includes the reasons for choosing this research subject, methodology objectives and research points.

Chapter one: Establishes definitions.

Chapter two: categorizes the modernists who deny the tangible miracles of the prophet, peace and grace be upon him.

Chapter three: States the reason for the existence of tangible miracles of the prophet, peace and grace be upon him, as conceived by the modernists.

Conclusion : includes the most important of the results and the most significant of the recommendations.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين، وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء والمرسلين، وأيده بالمعجزات الباهرات؛ لتدل على صدقه فيما بلغ عن ربه. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وعلى آل بيته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد ظهر في القرن الثامن عشر الميلادي بعض نفر وقفوا للكهنوت المسيحي، وطالبوا بفصله عن العلم، وأطلقوا على أنفسهم اسم التنويريون، وغايتهم: فصل الدين المسيحي عن الحياة العامة، وفصل العلم عن الكنيسة؛ لأنهما اتجاهاً لا يلتقيان.

ثم ظهر في الشرق الإسلامي بعض ممن تأثروا بهذا الفكر، وعدوا أنفسهم نقلة له، أمناً عليه، وقد جانبهم الصواب حين نظروا إلى التقدم الحضاري في أوروبا واعتبروه ناتج عملية فصل الدين عن العلم، فأخذوا يروجون هذه الأفكار وينشرونها في بلاد المسلمين.

وقد حاول هؤلاء النيل من الإسلام في نصوصه، وتعاليمه، ورسوله على كل ناحية، وقد استعملوا ألفاظاً اعتبروها مصطلحات عامة، ومنها: الحداثة التي يقصدون بها العقلانية تارة؛ لتكون في مقابلة النصوص الدينية، ويطلقون عليها التنوير تارة؛ لتكون في مقابلة الثابت التي يزعمون أنها لا تقدم نفعاً.

ومما يؤسف له أن يتمدد الحداثيون في أكثر المناحي، فتارة يتناولون القرآن الكريم، وأخرى السنة المطهرة، وتارة يركزون على العقيدة الإسلامية في أي جزء من أجزائها التي تقوم فيها.^(١) غير أن هؤلاء كانت لهم توجهات متعلقة بالمعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم، بعضهم أنكرها، وبعضهم تأولها، والبعض الآخر حاول أن يفصل في المسألة، مقلدين أساتذتهم من المستشرقين^(٢). وحيث إن الدراسة في قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر تتطلب اليقظة، وتدعو إلى مواجهة هؤلاء بمثل أسلحتهم؛ دفاعا عن العقيدة بعد التقرير لها، فقد رأيت أن يكون موضوع هذه الدراسة: الاتجاه الحداثي وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم (دراسة تحليلية نقدية).

وسوف أتناول ما يلي:

أولاً- أسباب اختيار الموضوع.

لقد اخترت هذا الموضوع لجملة من الأسباب، أبرزها:

- ١- الرغبة في الدفاع عن الإسلام، والذبّ عن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، من حيث إن ذلك واجب شرعي، والمسلمون جميعا مستخلفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القيام به.

(١) تقوم العقيدة الإسلامية في أجزاء ستة، جاءت بها النصوص الشرعية، وهي: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره". جزء من حديث طويل، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: (الطهارة)، باب: (معرفة الإيمان والإسلام والقدر)، رقم: (٨)، ج ١، ص ٣٦، تحقيق: الأستاذ/ محمد فواد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) مسألة تأثر الحداثيين بالمستشرقين، ومتابعة أفكارهم، باتت من الأمور الواضحات، لاسيما في التعامل مع التراث، وقد جمع الدكتور. إبراهيم السكران عددا من الحداثيين المتناولين للتراث، وبيّن مدى تأثرهم بالمستشرقين، كما أوضح صلتهم القوية بهؤلاء، ومن أشهرهم: طيب تيزيني، وحسين مروة، وحسن حنفي، ومحمد عابد الجابري، وعبد المجيد الشرفي، وغيرهم. [يراجع له كتاب: التأويل الحداثي للتراث "التقنيات والاستمدادات" ص ٣٩ ٨٥: مركز تفكر للبحوث والدراسات، الطبعة الثانية ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٨م.]

٢- ضرورة الالتفات إلى ما يقوم به هؤلاء، بحيث تظهر مشكلاتهم التي يعانون منها، وهي: الخصومة للإسلام، والمسلمين المحافظين، رغم أن الكثيرين منهم من ذوي الأسماء الإسلامية، فقد يندفع البعض بهذه الأسماء، ويظنهم من علماء المسلمين، الموثوق بعلمهم، فيأخذ عنهم دون وعي لخطورة أفكارهم.

٣- أن إنكارهم للمعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم فيه تكذيب لما جاء عن الله تعالى في كتابه الكريم.^(١)

٤- أنهم أنكروا المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم، وزعموا أنه إذا انتهت تلك المعجزات فلم يبق إلا القرآن الكريم، وقد نزل باللغة العربية، فلا يكون حجة على من ليس ناطقاً بالعربية. وهو زعم باطل؛ لأن إعجاز القرآن الكريم ليس وجهاً واحداً، وإنما وجوه متعددة، منها: الإعجاز اللغوي.^(٢)

٥- أنهم -في الوقت الذي أنكروا فيه المعجزات الحسية للنبي -صلى الله عليه وسلم- أقروا بالمعجزات الحسية الواردة في القرآن الكريم لكل من نبي الله موسى الكليم، وعيسى ابن مريم عليهما السلام. فلماذا لم يقرؤا بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم؟ ولم اختلف موقفهم حيالها؟

(١) من ذلك: إنكارهم معجزات: انشقاق القمر، والإسراء، والمعراج، إلى غير ذلك مما ورد في القرآن الكريم، وتفصيله جاءت بها السنة النبوية الصحيحة، وسوف أشير إليه في صلب البحث.

(٢) أشار القاضي عبد الجبار إلى أن هذا وجه واحد من وجوه إعجاز القرآن الكريم، يقصد النظم والأسلوب، وهو ألصق بطبيعة العرب وسليقتهم، بينما هناك أوجه أخرى للإعجاز، تشمل العرب وغيرهم، كالإخبار بالغيب الذي تعلق بأحوال الأمم السابقة، أو الغيب المستقبلي الذي سوف يحدث في القريب العاجل، ثم أشار إلى الإعجاز التربوي، والتشريعي، وعدد كثير من أوجه إعجاز القرآن الكريم. [يراجع للقاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ج ١، ص ٢٨ - ٣٠، ضبط وتحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، الطبعة الثامنة ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م].

٦- أن تعليلهم وجود معجزات بناء على التوارد الثقافي، أو الحاجة إلى السرد الحكوي يوقعهم على شبه واهية، ويؤكد تأثرهم بالمستشرقين، ولذا تعددت أسباب قيام هذا البحث.

ثانياً - منهج البحث

الحديث عن الاتجاه الحدائي في دراسة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم يتطلب مناهج عدة، منها: المنهج التقريري، وقد بدا في عرض الآراء التي قالوا بها، من خلال المؤلفات التي صحت نسبتها إليهم. والمنهج التحليلي الذي يظهر عند تحليل هذه الآراء وتبسيطها، كذا المنهج النقدي الذي يقوم على رعاية الجوانب التي قامت في التقرير والتحليل، وبيان أوجه القصور فيها. فإذا تم ذلك أمكن وضع تلك الآراء في إطار معرفي محكوم عليه بما يستلزمه البحث العلمي، من ناحية القبول أو الرفض، بالإضافة إلى المنهج الاستردادي التاريخي الذي يبدو أثناء الحديث عن نشأة الحادثة، وهذه المناهج -مجتمعة- يطلق عليها المنهج التكاملي.

ثالثاً - الأهداف والغايات:

لهذه الدراسة جملة من الأهداف والغايات، من أهمها:

- ١- التأكيد على وقوع المعجزات الحسية لخير البرية، وثبوتها بالنص القرآني، وصحيح السنة المطهرة، والغاية: بيان أن جهود الحدائين وغيرهم في هذا الاتجاه لم تؤت ثمارها، ولن تنال من عقيدتنا.
- ٢- بيان أن هؤلاء الحدائين مقلدين للمستشرقين، فتأثروا بأفكارهم، والغاية: التأكيد على أن عملية الإسقاط التي قاموا بها غير صحيحة؛ لأن الغرب كانت له ظروف اجتماعية ودينية خاصة، نتج عنها ردات فعل لا تصلح للتعميم على غيرهم.

- ٣- التأكيد على أن هؤلاء نابتة ليست قوية، لا من الناحية المعرفية، ولا من الناحية الأخلاقية، أما الغاية: فهي الوقوف على ما يضمرونه، ويحاولون به النيل من الإسلام، والتأكيد على أنه لا يرقى إلى الرأي المدعوم بالأدلة، وإنما هي ظنون وأوهام صنعتها خيالات أصحابها.
- ٤- بيان أن محاولات الحدائين النيل من المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم قد يضرب بعضها بعضها، والغاية: إبراز القضية الأساسية، وهي: ثبوت المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم.
- ٥- ضرورة الالتفات إلى ما يكتبه الآخر، وعدم التهوين من شأنه. أما الغاية: فهي عدم التخوف من هؤلاء؛ إذ الفكر يمكن دحضه بالفكر، وكلما كان الفكر يعرضه الآخر على رغبة في النيل من العقيدة الإلهية كان ذلك أدعى لمناقشته وبيان تهافته.

رابعاً - مكونات البحث:

يتكون هذا البحث من:

مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، بجانب ثبت للمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المقدمة: تتضمن أسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، والأهداف والغايات، ومكونات البحث.

الفصل الأول: تحديد المفاهيم.

الفصل الثاني: تصنيفات الحدائين منكري المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث: أسباب وجود المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم كما يراها الحدائيون.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

الحديث عن تحديد المفاهيم أمر له أهمية كبيرة؛ حيث يعتبر بمثابة المفتاح الذي يستعمله الباحث في جزئيات بحثه، ومن هنا كانت عناية علمائنا الأجلاء في مؤلفاتهم بضرورة تحديد المفاهيم المتداولة في صلب المؤلف، وكانوا في الأغلب الأعم يطلقون عليها اسم المقدمات.^(١) ومن ثم فقد بات من الضروري المعرفي تناول ما يأتي:

١- مفهوم (الاتجاه الحدائي)

تعددت الدراسات المعرفية التي تناولت مفهوم المركب التوصيفي، ومن ثم تعددت المفاهيم التي تدور حوله، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أ- التصنيف الإيجابي:

وهو الذي ينظر أصحابه إلى الحادثة على أنها تمثل التتوير، وتعبّر عنه في أي صورة من الصور، ومن ذلك أن "الحادثة مفهوم متعدد المعاني والصور، ويمثل رؤية جديدة للعالم، مرتبطة بمنهجية عقلية، مرهونة بزمانها، ومكانها"^(٢).

وبناء عليه فالحادثة عندهم هي الخروج على الجوانب التي تتسم بالجمود الفكري والانغلاق المعرفي، وفي ذات الوقت تعبر عن قبول

(١) من ذلك: ما ذكره الشيخ الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) حيث يقول عن الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة: أنها (مرتبة على مقدمة، وأبحاث، وخاتمة. أما المقدمة ففي التعريفات). [الشيخ عبد الرشيد الجونغوري: شرح الرشيدية على الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة للسيد الشريف الجرجاني، ص: ١٣، وعليها تحقيقات وشروح للأستاذ علي مصطفى الغرابي، مكتبة الحسين بالقاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩م].

(٢) سمير أحمد جرار: التربية العربية ومأزق الثنائية المتهومة، الحادثة والتعريب، ص ٦٣، ضمن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، العرب والتربية والعصر الجديد، الكتاب السنوي الثالث عشر، الكويت ١٩٩٧م / ١٩٩٨م.

التفاعل مع الثقافات الإنسانية، بما يؤدي إلى إطلاق الحرية العقلية، وانفساح المجال لكل ما يضيف جديدا إلى الجوانب الاجتماعية. كما تعرف الحداثة بأنها "المفهوم الدال على التجريد، والنشاط الإبداعي، فحيث نجد إبداعا نجد عملا حداثيا".^(١) وبناء عليه يرى هؤلاء أن الحداثة دالة على التجديد الفكري، وهي في ذات الوقت قيامها في النشاط الإبداعي؛ لذا قرنوها بالإبداع. ومن ثم فالاتجاه الحداثي من وجهة نظر هؤلاء هو الاتجاه العقلاني التنويري الذي يعمل على التجديد، والإبداع، والخروج عن التقاليد.

ومن هنا يؤكد البعض أن الحداثة تعني الإبداع الذي هو نقيض الاتباع، والعقل الذي هو نقيض النقل.^(٢) ويضاف إلى ما سبق أن مفهوم الحداثة قد ظهر في لغة الأدباء، وأصبح جزءا من تراثهم، حيث تعاملوا معه على أنه عمل إيجابي، ويبدو أنهم يركزون على تلك الصورة التي لا تبعد كثيرا عما يجري به أمر اللغة والصياغة، بعيدا عن الواقع الذي شهدته أوربا على أيدي الحداثيين، الذين فصلوا الدين عن الدولة، واعتبروا الدين عائقا عن التقدم، بينما اعتبروا الحداثة عقلا، وتنويرا، وإبداعا.^(٣)

(١) غانم هنا وآخرون: ندوة حول عناصر الحداثة في الفكر العربي المعاصر، عدد ٦١ سنة ١٩٩٨م، ص ٢١٨، نقلا عن د. علي وطفة: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، ص ٩٧ مجلة فكلو نقد بالمغرب، عدد ٤٣ نوفمبر ٢٠٠١م.

(٢) يراجع لجابر عصفور: إسلام النقط والحداثة ضمن الإسلام والحداثة، ص ١٧٧: ٢٠٩، دار الساقى بلندن.

(٣) الحداثة والتنوير الغربيين جاءا ردة فعل على موقف الكنيسة، وحجها على العقول، وتسليطها على العلماء، واتهامهم بالكفر والزندقة، والحكم عليهم بأشد العقوبات بعد تحويلهم لمحاكم التفتيش، مما دعاهم إلى الخروج عليها بما يسمونه حركة التنوير، بينما الأمر مختلف بالنسبة لنا، وبناء عليه، فالحداثة الغربية نتاج تحول فكري قام على ظروف وأحوال خاصة، وارتبط بأحداث تاريخية يصعب معها كل محاولة لإسقاط تلك الأفكار الغربية على أممتنا الإسلامية.

ب- التصنيف السلبي

وهو الذي يؤكد خطورة الحادثة، ويبرهن على زيفها، ومناقضتها للعقيدة الإسلامية، وتبدو تلك الاتجاهات في جوانب متعددة، منها:

تعريف الحادثة بأنها "مذهب فكري جديد، يسعى لهدم كل موروث، والقضاء على كل قديم، والتمرد على الأخلاق، والقيم، والمعتقدات"^(١).

بناء عليه، تكون الحادثة فهم خاص قصد به أصحابه هدم كل موروث مهما كان صحيحا، والقضاء على كل قديم مهما كان قائما على أصول ثابتة، ثم التمرد على الأخلاق، وهي العمدة التي بعث الأنبياء لتقريرها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^(٢).

كما عرفت بأنها "ثورة على الدين، وتمرد على أحكامه، وصراع مع الماضي بمقدسه وتراثه، لا لإثبات الجديد، بل لإثبات التبعية للغرب، والتكبر لثوابت الأمة"^(٣).

وبناء عليه، لا تكون الحادثة عملا عقليا مقبولا، بقدر ما هي عمل عبثي مرفوض؛ لأن الدين صمام الأمان بالنسبة للفرد، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

(١) عوض بن محمد القرني: الحادثة في ميزان الإسلام (نظرات إسلامية في أدب الحادثة) ص ١٢، تقديم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، هجر للطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(٢) أخرجه الإمام البيهقي في سننه (السنن الكبرى) كتاب: (الشهادات)، باب: (بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة...) رقم (٢٠٧٨٢) ج ١٠، ص ٣٢٣، تحقيق: محمد عطا عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

(٣) محمد رشيد ريان: الحادثة والنص القرآني، ص: ٢٤ بتصرف، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، كلية الشريعة ١٩٩٧ م. نقلا عن دكتور زكي مصطفى محمد وآخرين: دعوى تاريخية النص القرآني عند الحدائين العرب، ص: ١٨٧، مجلة الميزان، جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن، المجلد الخامس، العدد الأول ٢٠١٨ م.

ويؤكد البعض أن الحداثة تجعل فكرة العلم تحل محل فكرة (الله) في قلب المجتمع، وتقتصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد.^(١) وعليه تكون الحداثة فكرة هادمة للدين، جاعلة العقل وأحكامه فوق الدين وقدسيته، وتصور الله تعالى تصويرا يتوقف جوانبه على تصورات الفرد، فما رآه الفرد واعتقد صوابه -بالنسبة له- فهو كذلك، وكثيرا ما نادى الحداثيون في القرن الثامن عشر وما بعده إلى ضرورة التحول بالألوهية من العقيدة إلى الفكرة المعرفية.^(٢)

وعليه، فالاتجاه الحداثي اتجاه "فكري جديد، اجتتى أصوله وجذوره من الغرب، بعيدا عن حياة المسلمين، وحقيقة دينهم، ونهج حياتهم في ظلال الإيمان، والخشوع للخالق الرحمن"^(٣).

وقد عُرِّفت الحداثة بأنها "مذهب فكري جديد، يقوم على تأليه العقل، ورفض الغيب، وإنكار الرحمة، وهدم كل موروث يتعلق بالمعتقدات، والقيم، والأخلاق".^(٤)

ومن المؤكد القول بأن هذه التعريفات للحداثة، والاتجاه الحداثي؛ أبرزت قيامها على خصومات لكل من: الدين، والقيم، والأخلاق، وأن ذلك

(١) راجع لآلان تورين: نقد الحداثة، ص ٢٩، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧م.

(٢) الفرق بين الألوهية العقيدة والألوهية الفكرة: أن الأولى إيمانية قلبية مقدسة، ففيها الإيمان بذات خارج نطاق الأذهان، وإن كانت تعبر عنها بالأذهان فإنها -في هذا التعبير- تشير إلى ذات مستقلة، قائمة بنفسها، ليست مما يقع عليه حس المتدين، ولا مما يدخل في دائرة مشاهداته، وإنما هي شيء غيبي لا يدرك إلا بالعقل، والوجدان، فالصلة -هنا- بين ذات وذات، لا بين ذات وفكرة مجردة، أو تجريدية. [راجع للدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص ٤١، دار القلم بالكويت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م].

(٣) دكتور عدنان علي رضا النحوي: كتاب الحداثة في منظور إيماني، ص ٢٢، دار النحوي بالسعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

(٤) أبو سفيان مصطفى باحو السلاوي: العلمانية والمذهب المالكي، ص ١٩١، جريدة السبيل بالمغرب، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م. وقد ذكر أن هذا التعريف لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، الذي انبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في مملكة البحرين، من: ٢٥ - ٣٠ رجب ١٤١٩م نوفمبر ١٩٨٠. وقد ذكر أن هذا المجمع بعد دراسته لبحوث كثيرة متعلقة بالحداثة أعلن أنها مذهب إلحادي.

الاتجاه الحدائي، وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.....

لم يكن لصالح الإنسان، فهي انقطاع معرفي يهدف إلى قطع الصلة بالماضي، وكل ما هو مقدس؛ ليعلو صوت العقلانية غير المنضبطة بضوابط شرعية.

مما سبق اتضح أن الاتجاه الرافض للحادثة، هو الاتجاه السلبي الذي ركز على كل من: الدين، والقيم، والأخلاق، وهي معايير الحفاظ على المجتمع، كما أن الذين قالوا بإيجابيتها؛ توزعت جهودهم على نواح، من أبرزها: الأدب، والسياسة، والاجتماع.

وحيث إن موضوع هذا البحث هو الاتجاه الحدائي وموقفه من المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم دراسة تحليلية نقدية؛ فسيكون من الضروري التأكيد على أنني سوف أتناول ما يتعلق بالحادثة من الناحية السلبية التي قيامها على الخروج عن الدين، والانطلاق بعيدا عن أحكامه، والتكسر لكل قيم أصيلة، بغض النظر عن كون ما يدور يعبر عن سلطة النص، أم فوقها، وبخاصة أن أغلب الدراسات ركزت على الجانب السلبي، وأكدت على أهم المبادئ الأساسية للفكر الحدائي، والتي تقوم على تقديس العقل، واعتباره فوق النقل، والتركيز على فكرة العدمية للدين، وكونه جملة من الأوهام، أو نفي الحقائق المطلقة، ثم الاتجاه إلى إنماء روح التمرد على الدين، وكل ما له علاقة به^(١).

ولا شك أن موقفهم من المعجزات الحسية لخاتم الأنبياء سوف يجلي تلك الحادثة، ويكشف عن المحتوى الذي تدور حوله.

(١) راجع للدكتور زكي مصطفى: دعوى تاريخية النص القرآني عند الحدائين العرب، ص ١٨٩، ١٩٠.

٢- مفهوم (المعجزة)

يعدّ لفظ (المعجزة) من الألفاظ الاصطلاحية التي اصطلح عليها المتكلمون^(١)، ونهبوا إليها، وبينوا دورها في إثبات النبوة، وأكدوا على أنها فعل الله تعالى، يجريه على يد النبي؛ ليكون بمثابة المصدّق له في دعواه أنه مبلغ عن الله تعالى، ومن ثم تعددت تعريفاتهم الاصطلاحية، ومن أبرزها: ما ذكره الإمام الأسفراييني^(٢) بقوله: "المعجزة فعل يظهر على يدي مدعي النبوة بخلاف العادة، في زمان التكليف، موافقا لدعواه"^(٣). ومنها: ما ذكره الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) بقوله: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة"^(٤).

ورغم أن هذا التعريف موجز في مفرداته إلا أنه جامع لكثير من المعاني، ويبدو أن الشيخ قصد به ما ذكره في محصله، وهو: الوجازة مع الوفاء.

(١) بعض أهل العلم لا يستحسن إطلاق لفظ (المعجزات) على خوارق العادات الدالة على صدق الأنبياء، ومنهم: الشيخ ابن تيمية، حيث فضّل استخدام ألفاظ أخرى، منها: (دلائل النبوة)، أو (علام النبوة)، فهو يرى أنها إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ (المعجزات)، ويستأنس لذلك بأن = لفظ (المعجزات) لم يرد في الكتاب أو السنة، بل ورد بدلا منه ألفاظ أخرى، منها: الآية، والبيّنة، والبرهان. [راجع لشيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٥، ص ٤١٢، تحقيق: علي بن حسن، وأخرون، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م].

(٢) هو الإمام شهور بن ظاهر محمد الأسفراييني، من فقهاء الشافعية، متكلم على المذهب الأشعري، صنف في الأصول، والتفسير، ومن مؤلفاته: كتاب التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، وتاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم، توفي سنة ٤٧١هـ في طوس. [راجع للعلامة الزركلي: الأعلام، ج: ٣، ص ١٧٨، ص ٢٢٣، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م، وراجع لعلي بن أنجب بن عثمان، وتاج الدين الساعدي: الدرر الثمين في أسماء المصنفين، ص ٣٩٣، تحقيق: أحمد شوقي بنين، ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي بتونس، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م].

(٣) الإمام الأسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص ١٦٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٤) الإمام الفخر الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، ص ٢٠٧، وبذيلة: كتاب تلخيص المحصول للعلامة نصير الدين الطوسي، تقديم ومراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تعريف الفخر الرازي قد استفاده كثير من المتكلمين، فنراه في كثير من المؤلفات الكلامية بذات الحروف والمفردات الدلالية، ومنها: ما ذكره الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) بقوله: "أما حقيقتها: فهو أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة"^(١). كذلك استفاده الشيخ الدردير، حيث عرف المعجزة بأنها: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة"^(٢).

ومن المؤكد اعتبار هذا التعريف من التعريفات الجامعة المانعة، ومما تجدر الإشارة إليه أن أغلب التعريفات تدل على وقوع الأمر الخارق للعادة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، سواء أكان هذا الخارق هو الدليل الوحيد على إثبات النبوة، كما يرى البعض، أو دليل من الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم - في دعواه، كما يرى آخرون^(٣).

٣- مفهوم (الحسية)

لا شك أن ما يدرك بالحواس يقال له حسي، وما يدرك بالعقل يقال له عقلي، وعليه، فإن ما وقع به الإعجاز إن كان من النوع الحسي، كالذي يقع تحت مدركات الحواس الخمس الظاهرة: (السمع - البصر - الذوق - اللمس) كان معجزة حسية.

(١) الإمام القرطبي: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، ص ٢٣٩، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٢) الشيخ أحمد الصاوي: حاشية على شرح الخريدة البهية، وبالهامش شرح الخريدة البهية للشيخ أحمد الدرديري، ص ٥٩، طبعة: الحلبي ١٩٤٧م.

(٣) يرى بعض المتكلمين أن المعجزة هي الدليل الوحيد على تصديق النبي صلى الله عليه وسلم - في دعواه النبوة، ومنهم: إمام الحرمين الذي يرى أنه لا دليل على صدق النبي غير المعجزة. [يراجع له: كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص ١٣٢، ١٣٣، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، وآخرون، مكتبة الخانجي ١٣٩٦ هـ / ١٩٥٠م] بينما يرى آخرون أن المعجزة ليست هي الدليل الوحيد على إثبات النبوة، وإنما هي دليل من الأدلة، ومجموعها يسمى: دلائل النبوة، ومنهم: الإمام الشهرستاني. [يراجع له: كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ٤٢٢، ٤٢٤، تحقيق: الفرد جيوم، مكتبة زهران] ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الخلاف لا ينبني عليه إنكار للمعجزة، أو استغناء عنها، بل هي أمر ممكن، وقع للأنبياء صلوات الله عليهم، تأييدا لهم، وتصديقا لدعواهم.

ومعنى ذلك أنه يصح حمل الحسية على المعجزة، من ناحية الحكم عليها بالحواس، فالحس الصحيح يحكم بعدم استطاعة أحد أن يأتي بمثلها، وبناء عليه تكون المعجزة الحسية هي: "الخوارق الحسية، ونعني بها الأفعال الخارقة للعادة، التي تظهر على أيدي الأنبياء عليهم السلام، بحيث يعجز المنكرون عن الإتيان بمثلها، وذلك لكونها فعلاً إلهياً محضاً"^(١).

غير أن أصحاب الفكر الحدائي على المعنى السلبي يرفضون القول بخوارق العادات، ويركزون في أمر إنكار المعجزات، ويزعمون أنها خوارق للعقول والبدهييات، والعقل يرفض هذه المسائل.

ومن ثم فسأجتهد في بيان موقفهم من المعجزات الحسية للنبي خير البرية صلى الله عليه وسلم على طريق العرض لما يقولون، والتقييم لما إليه ينتهون، وسيكون ذلك فيما يرد من صفحات إن شاء الله تعالى.

(١) د. صلاح عبد العليم إبراهيم: العقيدة في ضوء القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٧٩، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

الفصل الثانى

"تصنيفات الحدائىين منكري المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم"
سلف الحديث عن تحديد المفاهيم، والآن أنتقل إلى جانب آخر، وهو تصنيف الحدائىين من ناحية الأفكار التي يرددونها بالنسبة لمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية، ومن ثم فالمهمة الأولى -في هذا الفصل- تتمثل في ضبط الأفكار، والآراء، والمعارف، التي تدور في عقول هؤلاء المنكرين لمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية، وتصنيفها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحدائىين منكري المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم قصدوا إبعادها عن إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم، حتى إذا انتهوا إلى القرآن الكريم قرروا أنه معجزة، لكن لا تقوم إلا على قليل من البشر، وهم العرب، وبالتالي فلا احتجاج بها على غيرهم.

غير أنني في تناولي لهذه الجزئيات سوف أركز على ما يلي:

التصنيف الأول - إنكار الوقوع مطلقاً.

ومعناه: أنهم يرفضون الإقرار بوقوع المعجزات على وجه الإجمال، ويعتبرون أن حديث القرآن عن الخوارق إنما هو نوع من استرجاع التقليد السامى في وسط غير مدرك له، ويعلنون تساؤلات، منها: "لماذا سجل القرآن عناصر هامة من مسار النبي، واسترجع التقليد السامى التوحيدى في وسط لا يعرفه^(١)، ولماذا اتسم بالإقناع العقلانى، وابتعد عن الخوارق؛

(١) هذا التساؤل لا يمثل حواراً داخلياً بقدر ما يمثل ترجيحاً لأفكار متوهمة، نمت بين عقول لم تدرك الغايات الصحيحة، بدليل عبارتهم: (استرجع التقليد السامى).

لأنها مستحيلة في ذاتها، ومستحيل الإيمان بها في هذا الوسط، فمعجزات الأنبياء من قبل لم توجد فعلا".^(١)

البيّن من عبارته أنه ركز على إنكار الخوارق كلها، واعتبرها من المستحيلات، وتناسى أن المستحيل -في حد ذاته- هو "ما لا يتصور في العقل وجوده ضرورة"^(٢) مما يؤكد أن صاحب القول لم تسلّم له مفرداته.

ثم ينتقل إلى شرح أسباب ورود الحديث عن معجزات الأنبياء، ويؤكد أنها رويت بعدهم، فكأنها لم تكن موجودة، وإنما المحكى عنها هو الذي ساهم في التعرف عليها "وسرت القضية عبر التاريخ على أنها واقعة جرت، وإن المعجزة إلا حديث عن المعجزة".^(٣)

وعليه، تكون المعجزة ضرباً من حديث النفس، أو وهما من الأوهام، لا يمكن قبولها، بل ويستحيل التعامل بها.

ويكرر الفكرة نفسها في أكثر من موضع، قائلاً: "أكرر ما قلته أنفاً من أن الإعجاز لا وجود له في الواقع، وإنما يروى أنه وجد فيغدو تقليداً فمعتقداً يشبه الميتولوجيا"^(٤) إلى حد بعيد".^(٥)

من هذا الباب: ما ذكره حسن حنفي بقوله: "البناء العقلي الذي تقوم عليه المعجزة إنما هو بناء هاوي، لا أساس له، ويمكن التحقق من تهاوي

(١) هشام جعيط: في السيرة النبوية (الوحي والقرآن والنبوة) ص ٢٩، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

(٢) الشيخ عبد السلام المالكي: إتحاف المرید بشرح جوهرة التوحيد، ص ٣٤، ٣٥، ومعه حاشية العلامة محمد بن محمد الأمير على الشرح المذكور، طبعة الحلبي الأخيرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م.

(٣) هشام جعيط: في السيرة النبوية، ص ٢٩.

(٤) الميتولوجيا: علم الأساطير والخرافات المتصلة بالآلهة عند شعب من الشعوب. [راجع للدكتور أحمد مختار عمر وفريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، ص ٢١٤٣، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م]

(٥) هشام جعيط: في السيرة النبوية، ص ٧٩.

هذا البناء بالعودة إلى معاني المعجزة، وشروطها، ودلالاتها، وتقوم استحالة المعجزة على إنكار وقوعها، أو إنكار دلالتها، أو إنكار العلم بها^(١). وهو بهذا يعلن -في وضوح- أن العقل يحيل وقوع المعجزات. بيد أن هذا التوجه قد وقع فيه أصحابه، وأكثروا القول حوله، ومما يؤسف له أن ينتهي أمرهم إلى القول بأن "المعجزات قدح في العقل"^(٢)، وإنكار لبدهييات العقول، ورجوع بالتطور البشري إلى الوراء، قبل ختم النبوة، حيث كان العقل عاجزا عن فهم قوانين الطبيعة، فيلجأ إلى السحر والعبادة درءا للخوف، واتقاء للمخاطر، كما أنها إنكار لقوانين الطبيعة، فالمعجزة قدح في العقل، وقدح في الطبيعة"^(٣).

مما سبق اتضح القول أن هؤلاء لا ينكرون المعجزات على ناحية واحدة؛ لأن الأول منهم حكم باستحالتها دون أن يقدم تبريرا مقبولا، وسماها مستحيلة في ذاتها، بينما الثاني رتب إنكاره على مخالفتها لأحكام العقل، وقوانين الطبيعة، وقد ترتب على ذلك لغط معرفي يؤكد أنهم لم يكونوا على قدر سواء في معرفة المستحيل في ذاته، ومعرفة قوانين الطبيعة، وأحكام العقل.

غير أن هذه المسألة ليست وليدة اليوم، وأن هذه الإشكالات ليست بنات أفكار هؤلاء، يشهد لذلك ما ذكره العلماء الأجلاء، من أن بعض

(١) د. حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، المجلد الرابع (النبوة - المعاد)، ص ٧٦، مكتبة مدبولي، القاهرة.

(٢) لو أن المعجزة خارقة للعقل وأحكامه لكانت قدحًا في العقل، لكنها خارقة للعادة، ولو فطن هؤلاء إلى الفروق القائمة بين أحكام العقل وأحكام العادة ما وقعوا في هذا الوهم؛ إذ إن حكم العادة حقيقته "إثبات الربط بين أمر وأمر وجودا أو عدما، بواسطة تكرار القران بينهما على الحس... وأما الحكم العقلي فهو عبارة عما يدرك العقل ثبوته أو نفيه، من غير توقف على تكرار، ولا وضع واضح". [الشيخ محمد بن يوسف السنوسي: شرح أم البراهين، ص ٣٨ - ٤٢، ومعه حاشية الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي على الشرح المذكور، طبعة: الحلبي الأخيرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م].

(٣) د. حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ج ٤، ص ٧٧.

منكري النبوة قدحوا في المعجزات، وزعموا أن "تجويز خوارق العادات سفسطة؛ إذ لو جازت لجاز أن ينقلب الجبل ذهباً، والبحر دهناً، والمدعي للنبوة شخص آخر عليه ظهرت المعجزة، إلى غير ذلك من المحالات".^(١) ومن ثم يكون دور هؤلاء إنما هو رجوع الصدى، وليس وجهة نظر مقبولة، ولكن لا بد من مواجهتهم؛ حتى لا يقع الأغيار بين ضحاياهم. وقد أجاب الإمام السعد بأن "المراد بخوارق العادات أمور ممكنة في نفسها، ممتنعة في العادة، بمعنى أنها لم تجر العادة بوقوعها، كإنقلاب العصا حية، فإمكانها ضروري، وإبداعها ليس أبعد من إبداع خلق الأرض والسماء وما بينهما، والجزم بعدم وقوع بعضها كإنقلاب الجبل والبحر، وهذا الشخص، وأمثال ذلك؛ لا ينافي الإمكان الذاتي"^(٢).

ويضاف إلى ما سبق: عموم قدرة الله تعالى الشاملة لكل شيء، فالمنكرون للمعجزات تناسوا أن الإمكان والاستحالة لا يتناسبان مع قدرة الذات العلية التي لا تحد، ولا يعرف المستحيل إليها طريقاً، ومادام هؤلاء يعترفون بوجود الله تعالى فقد كان الواجب عليهم ألا يقيسوا قدرته بقدرة غيره.

وقد فند الشيخ مصطفى صبري^(٣) هذه الشبهة مستندا إلى العقل ذاته -الذي ادعوا أن المعجزات خارقة لأحكامه- قائلاً: "لو لم يكن هذا العالم موجوداً، وقيل: لمن ينكر المعجزات، ولا يتصور وجودها سيوجد

(١) الإمام سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد، ج ٣، ص ٢٧٦، ٢٧٧، تقديم وتعليق: الشيخ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠١١م.

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٧٧.

(٣) تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية، وقاوم الحركة الكمالية، هاجر إلى مصر بأسرته سنة ١٩٢٢م، من أشهر مؤلفاته بالعربية: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، وموقف البشر تحت سلطان القدر، القول الفصل في الذين يؤمنون بالغيب والذي لا يؤمنون، إلى جانب مؤلفاته بالتركية. [يراجع للعلامة الزركلي: معجم الأعلام، ج ٧، ص ٢٣٦].

عالم كذا؛ كان جوابه: إن هذا غير متصور، وكان نفي تصوره أشد من نفي تصور المعجزات" (١) .

ويؤكد العقاد أنه لا تعارض بين وجود المعجزات الحسية للأنبياء وبين سنة الله الكونية؛ فالمعجزات ليست بأعجب مما هو مشاهد بالأبصار، ولا تحتاج لقدرة أعظم من القدرة المشاهدة، وقد تسمى المعجزات -في عرف الناس- خوارق للعادة، فلا يجوز لأحد أن ينكرها (٢) .

ويضاف إلى ما سبق أن "إنكار المعجزات استنادا إلى أنها أمور خارقة للعادة يتضمن إنكار النبوات؛ فبينهما اتصال كبير، حيث إن إنكار المعجزة يتضمن إنكار النبوة، فتشتد الحماقة، وتتضاعف فيمن يؤمن بالأنبياء، وينكر معجزاتهم؛ لأن نبوتهم تبدأ من الإيحاء إليهم، الذي إن لم تكن معجزة لعدم اقتترانه بالتحدي، فهو معجزة من حيث إنه خارق للعادة، وأن منكر المعجزة ينكرها لخرقها للعادة" (٣) .

أجل، إن الوحي في حد ذاته أمر خارق للعادة، فكيف يؤمن به بعض ممن ينكر المعجزات الحسية؟

ثم يفرق الشيخ بين المحال وبين ما هو غير واقع، حيث يرى أن المنكرين للمعجزات الحسية يخلطون بينهما، وهو أمر في غاية الأهمية؛ لأن "المحال أخص مما ليس بواقع، فهو يزيد على غير الواقع بعدم إمكان الوقوع، وفي حين أن التجربة الدالة على مجرد الوقوع أو اللالوقوع

(١) الشيخ مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج ٤، ص ٢٦، دار الأفاق العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

(٢) يراجع للأستاذ عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ص ٨٧، ٨٨، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٨ م.

(٣) الشيخ مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج ٤، ص ٣٨.

لا تصعد إلى مرتبة الحكم بضرورة الواقع ولا استحالة غير الواقع؛ إذ الحكم بالضرورة أو الاستحالة أو الإمكان من اختصاص العقل، وليس من شأن التجربة، فالإمكان أوسع نطاقاً من الوقوع بكثير، والوقوع ضيق، وضرورة الوقوع أضيق، كما أن الاستحالة التي هي بمعنى عدم الإمكان أضيق من عدم الوقوع... وقد يكون الممكن أمراً عظيماً تقصر التجربة عن الوصول إليه، فيظنه قصير العقل مستحيلاً، أو يكون الواقع كثير الأمثال جداً فيظنه ضرورياً^(١).

ومن ثم يكون الزعم بأن المعجزة تخالف قوانين الطبيعة أمر غير صحيح؛ لأنهم يعتمدون على قوانين السببية العقلية، بينما المعجزة تخرق العادة^(٢)، وبالمعجزة تحقق للرسول صلى الله عليه وسلم سبق إلهي، استطاع من خلاله أن يعرف سر هذه السنن العلمية قبل ميعاد تحققها بألاف السنين.

وبناء عليه، تكون المعجزة من باب خرق النواميس التي ألّفها الناس، وفصل عرى العلاقة القائمة بين السبب والمسبب، وإذا انقطعت تلك العلاقة، وانقطع أمر الصلة بين السبب والمسبب العاديين برزت خوارق العادات، بحيث يمكن القول بأمرين:

الأول: أن قانون المعجزة فعل إلهي أعلى من كافة القوانين البشرية.

(١) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) قانون السببية العادية يقر بدور الخالق جل علاه في كافة الجوانب، وهو الذي يعنى به المتكلم المسلم، وقد استخدم مصطلح العادة لشرح الاضطراب المشاهد في تتابع أشياء معينة، وهذا الاضطراب الحادث بين الطبيعيات إنما هو بحسب مجرى العادات، ويجوز نقضه بفعل الله المعجز، الذي يكون على يد الأنبياء، وبالتالي تسقط الضرورة العقلية التي يعتمد عليها أصحاب القول بالضرورة العقلية بين السبب والمسبب، وقد درست هذه المسألة تحت فكرة السببية. [راجع للدكتور/ عبد العزيز سيف النصر: نظرية السببية في الفكر الكلامي الإسلامي، مطبعة الجبلاوي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م].

الاتجاه الحدائي، وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.....

الثاني: أن العلاقة القائمة بين كثير من الأسباب والظواهر غير معروفة، كما أن قوانين العلم لا تطبق إلا في حدود معينة، ومجالات الحياة المعاشة.

التصنيف الثاني: إنكار الوقوع النوعي

ومعناه: اعتقاد وجود معجزات حسية لأنبياء سابقين، كنبى الله موسى، ونبي الله عيسى عليهما السلام، وإنكار وقوع معجزات حسية لنبي خير البرية صلى الله عليه وسلم.

من البين أن هذا التصنيف قد عبّر عن نزعة شعوبية، وذلك لأن الإقرار بمعجزة نبي واحد يلزم عنها الإقرار بكافة المعجزات لجميع الأنبياء.

يزعم الحداثيون أن القرآن الكريم في بعض آيه يبرز الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه طالب آية، مستدلين -على هذا الزعم- بظاهر قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١) ثم ينتهي القول بهم إلى أن محمدا كان يطلب آية ليس -فقط- رغبة منه في تسهيل مهمته في إقناع اللا مقتنعين برسالته، بل أيضا -وهذا أبلغ دلالة- تعبيراً عن شكوكه هو نفسه إزاء صمت الله، وإزاء النصاب الذي خصه به دون سائر الأنبياء: نبي بلا معجزة^(٢).

(١) سورة الأنعام الآية ٣٥.

(٢) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص: ١٢، دار الساقى، بيروت، لبنان، بالاشتراك مع رابطة العقلايين العرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

لقد قصدوا - بهذا التأكيد - أن الأنبياء السابقين كانت لهم معجزات، أما الرسول الخاتم فليست له معجزة، وبهذا ينكرون جميع المعجزات الحسية التي جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم، بغض النظر عن نوعها. لقد زعم هؤلاء أن العقل يفترض أسئلة، منها: "إذا كانت المعجزة رفيقة درب كل نبي^(١)، فلماذا قضت المشيئة الإلهية أن ينفرد الرسول دون سائر الرسل والأنبياء بأن يكون نبيا بلا معجزة؟"^(٢).

ثم يقدمون الإجابة على هذا التساؤل بقولهم: "ليس بين الإيمان وعدمه، وبين المعجزة وعدمها من رابطة عليّة، فلا المعجزة تستتبع الإيمان^(٣)، ولا عدمها يستتبع عدم الإيمان ... إذن فالمشيئة الإلهية - لا المعجزة - هي التي تتحكم بإيمان الناس أو عدمه"^(٤).

ولا أبعد عن الحقيقة إذا ما ذكرت أن إنكار معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية قد يكون قاسم مشترك بين أكثر الحداثيين، يدل عليه قولهم: "لم يحمل الرسول الكريم محمد بن عبد الله أي معجزات مادية على غرار الأنبياء والرسل قبله، ووفق التنزيل الحكيم، فقد أيد الله موسى بتسع

(١) هذا إقرار بأن جميع الأنبياء والمرسلين كانت لهم معجزات حسية، ومن ثم فإنكار هذا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدره العناد واللجج، بجانب البغي والحسد.

(٢) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص ١٧.

(٣) المعجزة دليل على صدق الأنبياء فيما يبلغون عن رب العباد، لاسيما إذا اقترنت بالتحدي، وقد تبعها الإيمان، كما هو الحال مع سحرة فرعون، فقد صدقوا بما جاء به موسى عليه السلام، لما علموا أن ما جاء به موسى أمر خارق للعادة، وليس من جنس ما تعلموه، وقد ذكر القرآن

الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذْهَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾^(١٧)

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا

ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿سورة الأعراف، الآيات من ١١٧ إلى ١٢٢﴾.

يقول الشيخ المراغي: "إن ظهور بطلان سحرهم، وإدراكهم فجأة- آية موسى، وعلمهم بأنها من عند الله، لا صنع فيها لمخلوق؛ ملأت عقولهم يقيناً، وقلوبهم إيماناً، فكان اليقين الحاكم هو الذي ألقاهم على وجوههم سجداً لرب العالمين." [الإمام أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج ٩، ص ٣٢، ٣٣، طبعة الحلبي الأولى ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م].

(٤) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص ٢٤.

الاتجاه الحدائثي، وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.....

آيات بينات^(١)، أعانته على إقناع من حوله بما حمل من رسالة، أما عيسى فعدا عن أنه ولد نبيا مرسلا، فقد تمكن من شفاء الأعمى والأكمه^(٢)، وأنزل الله له مائدة من السماء^(٣)، كانت كانت برهانا على صدقه، بينما لم يحمل محمد أي معجزة مشابهة، ولم يدع ذلك، بل أصر على نفي الإتيان بأية خوارق^(٤).

ويؤكد فكرته هذه قائلا: "أما بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت معجزة نبوته هي القرآن نفسه، أي: أن القرآن هو التصديق، وهو النبوة معاً، ولم تأت النبوة والآيات البينات منفصلا بعضها عن بعض، كما كانت بالنسبة لكل الأنبياء، النبوة والآيات البينات منفصلا بعضها عن بعض"^(٥).

ومما يشهد أن إنكار المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم قد يكون قاسما مشتركا بين الحدائثين: تأكيدهم على أن مجيء معجزات حسية للنبي صلى الله عليه وسلم كان مطلبا من مطالب كفار قريش، وقد

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [سورة الإسراء من الآية ١٠١].
والتسع آيات هي: يده، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم [الإمام الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن] ج ١٧، ص ٥٦٤، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م؟

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَأُزِيذُ الْأَكْمَهَةِ وَالْأَبْرَصِ وَأُخِي الْمَوْقُ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، جزء من الآية ٤٩].

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾
إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا زَيْدٌ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنُظْمِنَ قُلُوبِنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنُوا عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣١﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٣٢﴾ [سورة المائدة، الآيات ١١١ - ١١٤].

(٤) د. محمد شحرور: معجزة محمد الخالدة، منشور بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠١٨م، الموقع الرسمي: <https://shahrour.argi.jp>

(٥) د. محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ٧١٦، الأهالي للطباعة والنشر، سورية، دمشق، ديون تاريخ.

ألحوا على ذات المطلب، وهو الإتيان بمعجزة خارقة لنظام الكون، كدليل على صدقه، فجاء جواب القرآن: "أن مهمة محمد بن عبد الله أن يبلغ لأهل مكة -أم القرى ومن حولها- رسالة الله إليهم (القرآن)، وليس من اختصاصه الإتيان بآيات معجزات خارقة للعادة"^(١).

ولئن كان إنكارهم وقوع معجزات حسية للنبي صلى الله عليه وسلم، وقيام هذه الأفكار في أذهانهم، إلا أنه من المؤكد أن لهم سابقين أوردوا تلك المقولات، وعليه، فقد جاء توظيفهم إياها في العصر الحاضر يمثل رجع الصدى لما سلف إليه غيرهم، وسوف يتضح ذلك أثناء الحديث عن التصنيف الثالث.

التصنيف الثالث - أصحاب التأويل.

وأقصد به: الذين يعتقدون أن كل خوارق العادات إنما هي ظواهر طبيعية حدث فيها تقدم من عالم المحسوس عن عالم المعقول السائد وقت المعجزة، كشق البحر، ولكنها ليست بحال من الأحوال خروجاً عن قوانين الطبيعة، أو خرقاً لها^(٢).

ومثل هؤلاء ينتقلون بمفهوم التأويل نقلة نوعية، متدخلين في مسائل الأصل فيها أن تكون سمعية^(٣)، ثم يدخلون فيها مفاهيم رياضية،

(١) د. محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ج ١، ص ١٨٧، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(٢) يراجع لدكتور محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ١٨٥.

(٣) العقل وحده لا يستطيع أن يعرف المعجزات، وأنواعها، وما حدث للأنبياء مع أقوامهم، بل إن تواتر المعجزة الواحدة مع أنبياء الله، كمعجزة إحياء الموتى جاءت لنبي الله إبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكلها لا يمكن تصديقها إلا عن طريق السمع، ومن ثم دخلت في السمعيات من هذا الجانب. ويدل عليه ما فعله الإمام التفتازاني في كتابه شرح المقاصد، المقصد السادس في (السمعيات)، وضمنه فصولاً، الأول منها في مباحث النبوة، الذي جعل المبحث الثاني منه في المعجزة. [راجع له المجلد الثالث، ص ٦٣ - ٦٥، تقديم: الشيخ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠١١م].

أو طبيعية، حسب دراساتهم، ومن هؤلاء محمد شحرور^(١) الذي يقول عن المعجزة: "إنها عبارة عن قفزة زمانية إلى الأمام في تطويع قوانين الطبيعة"، ثم يحاول إلباس هذا القول صورة التأويل والمقايسة، فيذكر أن يوم القيامة يبعث الله "الناس جميعا، وهم في عداد الموتى، فما عملية إحياء المسيح للميت إلا قفزة زمانية، ترينا إمكانية إحياء الموتى ماديا، وهو الذي سيحصل يوم البعث"^(٢).

لقد خلط شحرور بين الخوارق التي تحدث في دنيا الناس وبين ما يجيء في الآخرة، متناسيا أن أمور الآخرة لها نواميس، وقوانين، وسنن خصها الله تعالى بها، ولا تصح المقارنة بينهما، بحيث يجعل خوارق العادات هي القاسم المشترك.

ولم يعتبر الخارق الحسى (المعجزة) عاملا بطبيعته التي خلقه الله عليها، وإنما هو نوع من التأويل المرتبط بالكيفية الزمانية، أو المكانية، أو الطبيعة التي خلق الله الكائنات عليها^(٣).

ولئن كان هذا هو حال الحدائيين مع المعجزات الحسية قطعاً لأنبياء الله السابقين، فالحال لا يختلف كثيرا مع معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم الحسية.

(١) مفكر سوري، ولد بدمشق ١٩٣٨م، حصل على شهادة التعليم الثانوي بدمشق ١٩٥٧م، ثم سافر ببعثة إلى الاتحاد السوفيتي لدراسة الهندسة المدنية في موسكو ١٩٥٩م، وتخرج بديبلوم الهندسة المدنية ١٩٦٤م، أوفد إلى جامعة "دبلن" بأيرلندا عام ١٩٦٨م، وحصل على الماجستير، ثم الدكتوراه في الهندسة المدنية، بدأ في دراسة العلوم الإسلامية في أيرلندا عام ١٩٧٠م، وله مؤلفات عدة، منها: الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة، القصص القرآني، الدين والسلطة، أم الكتاب وتفصيلها، قراءة معاصرة في الحاكمية الإنسانية... وغيرها. [راجع: الموقع الرسمي للدكتور شحرور: <https://shahrour.org/?p>]

(٢) د. محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ١٨٥.

(٣) ومن ذلك محاولة تفسيره عدم إحراق النار لنبي الله إبراهيم عليه السلام، مع وجود طبيعة النار -الإحراق- وطبيعة نبي الله -الطبيعة القابلة للاحتراق- فقال: (إن النار تحوي طبيعتين متضادتين في آن واحد، وهما: الحرق، وعدم الحرق، فالصفة الأولى لنا، والثانية جاءت لإبراهيم). [محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ١٨٥].

فالمطالع للتراث الحدائـي، أو ما يمكن تسميته بالفكر العقلاني؛ يجدهم يطعنون في المعجزات الحسية الواردة في القرآن الكريم، ويعمدون إلى اجتهادات العلماء في فهمها، ثم ينتهون إلى القول بأنه إذا كان الأقدمون قد ناقشوها، كالحال مع الإسراء، والمعراج، وانشقاق القمر، فإن "الآراء فيها مختلفة، وكلها تراث لنا، ومن حقنا، بل من واجبنا أن نختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل، ومعطيات العلم في عصرنا"^(١).

ومن المؤكد أن اصطيات بعض عبارات اجتهادية في تأويل النص، أو تفهمه من العلماء الأقدمين لا يعد قاعدة أو حجة ملزمة؛ لأن التأويل في فهم النص لا يلغي حقيقة النص بحال من الأحوال؛ إذ القاعدة الكلية قاضية بأنه "لا اجتهاد مع النص"^(٢)، فإذا كان النص قد ورد في القرآن الكريم قطعياً في وروده، ظنياً في دلالاته؛ فإن الشواهد التي تقف معه تجعله في منزلة القطعي في دلالاته أيضاً.

وبناء عليه تكون المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم الواردة في القرآن الكريم، كمعجزة انشقاق القمر -مثلاً- ثابتة بنص القرآن الكريم، وهي منسجمة مع مبادئ العقل، وأحكامه، من: الإمكان، والوجوب، والاستحالة. وعليه فإن انشقاق القمر ليس مستحيلاً.

أما احتجاجهم بأقوال بعض العلماء بأنه سينشق مستقبلاً فقد فاتهم أن اللغة والسياق قد لا يعينان على هذا؛ إذ الصياغة دلت على وقوعه في حدث مضى، كذا السياق، وقد أكد على ذلك الإمام الزمخشري، حيث

(١) د الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ج ١، ص ١٨٨.
(٢) هذا يشمل جميع النصوص الشرعية من الكتاب أو السنة، سواء أكانت قطعية أو ظنية. [ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، ج ١، ص ٥٠٦].

قال: "روي عن بعض الناس أن معناه: ينشق يوم القيامة، وقوله: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾^(١) يرده، وكفى به ردا"^(٢).

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي: "هذه الآيات على ظاهرها، كما فهمتها الأجيال المتعاقبة من علماء المسلمين، علماء اللغة وعلماء الدين، فالقاعدة العامة في فهم آيات القرآن أنها على حقيقة اللفظ فيها، إلا إذا قامت قرنية كافية تحمل على المجاز، وليس هنا من مثل هذه القرينة شيء يدعو إلى فهم (وانشق القمر) على معنى (وضوح الحجة) كما ذهب بعض العلماء المحدثين، بل القرائن كلها تؤيد ظاهر الآية، وأنها على الحقيقة لا على المجاز"^(٣).

ومما يزيد الأمر غرابة أن الحدائين -رغم قلة بضاعتهم في الحديث الشريف- يعلنون أن ما ذكروه آراء صحيحة، وما دونه مصادر لا يعتمد عليها، مع أنهم يفتقدون أساسيات الفهم للسنة المطهرة، ومن ذلك قولهم: "هناك روايات تحدثت عن أمور كثيرة نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنها معجزات له، من النوع الخارق للعادة، وكلها أحاديث آحاد، ومعظمها من النوع الذي يتساهل فيه رجال الحديث"^(٤).

(١) سورة القمر، الآية ٢.

(٢) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ٤٣١، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

(٣) الدكتور محمد أحمد الغمراوي، والدكتور أحمد عبد السلام الكرداني: الإسلام في عصر العلم "الدين والرسول والكتاب"، ص ١٢٢، دار الكتب الحديثة ١٩٧٨ م.

(٤) د. الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ج ١، ص ١٩٠.

غير أن هؤلاء يجهلون، أو يتجاهلون أن الحديث الأحاد يؤخذ به متى احتفت القرائن في العلميات والعمليات، وإذا جاءت له ظواهر نصوص شرعية فإنه يؤخذ به في القطعيات^(١).

كما أن الزعم بأن كل المعجزات الحسية للنبي، خاتم البرية نقلت من أحاديث آحاد؛ زعم مردود، بما ذكر في القرآن الكريم، كما هو الحال مع الإسراء، والمعراج، وانشقاق القمر، على الوجوه التي جاءت في النقل المنزل.

أجل، ذكرت الآيات القرآنية معجزة انشقاق القمر، ودل سياق الآيات أنه انشق بالفعل، ولو لم يحدث ذلك لسارع المكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم بإعلان ذلك، وقد نقل خبر انشقاقه جم غفير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبناء عليه، يكون تأويل هذه المعجزات -على أي وجه كان- أمر مرفوض؛ لأنه مخالف لما جاء في القرآن الكريم، وأيدته السنة المطهرة^(٢)، وعاضدته اللغة العربية.

(١) أجل، خبر الأحاد الصحيح الذي لم تحتف به قرائن تقويه، إنما يفيد العلم الظني النظري، بينما الخبر الصحيح الذي له قرائن تقويه إلى درجة اليقين، فهو يفيد العلم اليقيني، وعليه فخير الأحاد الصحيح تقوم به الحجة في العقائد والشرائع، وإنما رده من رده بسبب الخلط في دلالة المصطلحات المستخدمة في علم مصطلح الحديث. [لتفصيل هذه المسألة يراجع لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني: نزاهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ص ٤٣ - ٤٧، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ].

(٢) روي عن أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراه انشقاق القمر. رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: (المناقب)، باب: (سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراه انشقاق القمر)، رقم: (٣٦٣٦)، ج ٤، ص ٢٠٦، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار)، باب: (انشقاق القمر)، رقم: (٤٨٢)، ج ٤، ص ٢١٩٥، تحقيق: الأستاذ. محمد فواد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.

كما أن معجزة انشقاق القمر رواها جمع من الصحابة أعيان المسلمين، من أمثال: أنس بن مالك، وابن عباس، وابن عمر، وعلي بن أبي طالب، وجبير بن مطعم، وغيرهم. [راجع للشيخ صالح بن الحسين الجعفري: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ج ٢، ص ٧٣٢، تحقيق: محمود عبدالرحمن قدهج]، وقد جمع الأحاديث المتعلقة بهذه المعجزة، وفصل القول فيما يتعلق بها، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

أجل، أعلن القرآن الكريم انشقاق القمر، وهو معجزة لإثبات نبوته صلى الله عليه وسلم، وبلغ صداها الآفاق، ولم يجدها كفار مكة، مع جدهم للقرآن العظيم، ولنبوة النبي الكريم، فلو لم تكن المعجزة واقعة بالفعل لسارعوا إلى تكذيبه، ولو فعلوا لنقل إلينا، وما نقل إلينا بخصوص ذلك الأمر هو ما نقله القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(١) فهم لم يكذبوا الحدث نفسه، بل سارعوا لرميه بالسحر، وعليه يكون إنكار هذه المعجزة بلاهة وحماقة؛ حيث إنها من الممكنات العقلية، وليست من باب المستحيلات^(٢).

وكذلك الحال مع معجزتي: الإسراء، والمعراج، فهما معجزتان للنبي صلى الله عليه وسلم، جاء ذكر الإسراء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾^(٣) فكلمة (سبحان) في القرآن الكريم لها دلالة قوية؛ فإنها تنزيه لله تعالى ترد عند ذكر الأشياء العجيبة، حيث إنها توضح أن الفعل المذكور لا يقدر على القيام به إلا الله تعالى^(٤).

ويؤكد الدكتور الغمراوي أن الإسراء والمعراج معجزتان للنبي صلى الله عليه وسلم، ينبغي الإيمان بهما دون تأويل، فقدرة الله -تعالى- لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء. ثم يوضح أن من يؤمن بمعجزات الأنبياء ينبغي أن يؤمن بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم؛

(١) سورة القمر، الآية ٢.

(٢) يراجع للشيخ سعيد النورسي: المعراج النبوي ضرورته، حقيقته، حكمه، ثمراته، ص ٧١ - ٧٣، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مطبعة: المدني، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

(٣) سورة الإسراء جزء من الآية ١.

(٤) راجع للدكتور جمال الحسيني أبو فرحة: ميزان النبوة، ص: ٣٥٧، دار الآفاق العربية، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

لأن مصدرهما واحد، فيقول: "من يؤمن بالمعجزات التي قص الله - سبحانه- في كتابه أنه أجراها لأنبياؤه، كتلك التي أجرى لموسى وعيسى؛ لا ينبغي أن يحيك في صدره شيء يحول دون الإيمان بما قص سبحانه من أنه أسرى بنييه ورسوله وعبده محمد، من مكة، حيث المسجد الحرام، إلى بيت المقدس (١) "

كما أن المعراج ثابت بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَوْنَا نَزْلَةَ أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ حَاجَةِ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَنْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ (٢)

فهل تلك الآيات أحاديث آحاد!! أما أنها قطعية في ورودها ودلالاتها (٣) ، كما أن رجال الحديث -طيب الله ثراهم- قد اعتنوا بهذا الجانب كثيرا، ونبهوا على ما صح، وما لم يصح، فاتهامهم بالتساهل في جانب الأحاديث التي تتناول معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية أمر غير مقبول.

وحيث انتهيت من الحديث عن تصنيفات الفكر الحدائث منكري معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية؛ سوف أنتقل للحديث عن مزاعمهم حول هذه المعجزات، وبها يتجلى موقفهم العام من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية، وهو ما سوف أعرضه في الفصل الثالث إن شاء الله.

(١) الدكتور الغمراوي: الإسلام في عصر العلم، ص ١٣٢.

(٢) سورة النجم، الآيات من: ١٣ إلى: ١٧.

(٣) يقول الدكتور الغمراوي: "لا خلاف بين علماء المسلمين في أنه قد كان إسراء به إلى بيت المقدس، وأنه قد كان معراج به -صلوات الله عليه- في السموات السبع، حيث بلغ من سابقتها ما شاء الله له أن يبلغ، إنما الخلاف كان بين قلة ترى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح، وبين كثرة ترى أنهما بالبدن والروح معا، كما هو ظاهر آية الإسراء والنجم من غير تأويل، عملا بالقاعدة البلاغية التي تقرر أن النص على حقيقة لفظه ما لم يكن في نفس النص قرينة تحمل اللفظ على المجاز." [الدكتور الغمراوي: الإسلام في عصر العلم، ص ١٣١].

الفصل الثالث

أسباب وجود المعجزات الحسية في الفكر الإسلامى

كما يراها الحدائون

بعد أن ادعى الحدائون عدم تأييد النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزات حسية انتقلوا إلى ذكر الأسباب التي جعلت مفكري الإسلام يتحدثون عنها، رغم عدم وقوعها حقيقة، وظهرت لهم مزاعم عدة، سوف أذكر منها ما يأتي:

أولاً- الموقف السلبي للقرآن الكريم من المعجزات الحسية.

يقصد الحدائون بالموقف السلبي للقرآن الكريم من المعجزات الحسية للنبي خاتم البرية: خلوه من الحديث عنها، فلم ترد شهادة في القرآن الكريم تؤيد وقوع معجزات حسية له صلى الله عليه وسلم على حد زعمهم، ولو جاء فيه ذكر لهذه المعجزات الحسية لكان إيجابياً، ثم اقاموا هذا الزعم على جوانب عدة، منها:

أ- أن القرآن الكريم، وهو يتحدث عن جوانب كثيرة، عمد إلى فكرة التأمل فى الكون، وإبراز أسلوب الخطاب الموجه إلى العقل، والقلب، دون أن يشغله بمسائل يمكن ألا يصدقها، أو يحتاج إلى داعم لها، حيث إنه -في سياق رده على الكفار فى نعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بالساحر، والشاعر، ونعتهم للقرآن بالمفترى عليه، وأساطير الأولين- كانت له ردود قوية تؤكد صدق النبي صلى الله عليه وسلم، واستغراقه فى مهمته، وهو موقف إيجابى، غير أنه لم يذكر خوارق داعمة للنبوة سوى لفت النظر إلى الكون، يقول الأستاذ دروزة^(١): "إن حكمة الله

(١) مؤرخ سورى، ولد فى نابلس سنة ١٨٨٩م، عمل فى الكتابة والتعليم، واعتقل مرات عدة، كان يترجم عن التركية، والفرنسية، بلغت كتبه المطبوعة تسعة وثلاثين كتاباً، ومن أشهر مؤلفاته: التفسير الحديث فى اثني عشر مجلداً، عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبينته، سيرة الرسول، والقرآن واليهود، والمرأة فى القرآن والسنة، الإسلام والاشتراكية... وغيرها. توفي سنة ١٩٨٤م. [يراجع لمحمد خير بن رمضان: تكملة معجم المؤلفين، ص ٥٢٣، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م].

اقتضت ألا تكون الخوارق دعامة لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبرهاننا على صحة رسالته، وصدق دعوته التي جاءت بأسلوب جديد، هو أسلوب لفت النظر إلى الكون، وما فيه من آيات باهرة، والبرهنة بها على وجود الله، وقدرته الشاملة"^(١).

وبهذا يعتقد أن القرآن الكريم لم يثبت معجزة حسية للنبي صلى الله عليه وسلم جاءت لتدعم أو تبرهن على صحة رسالته.

ب- ما ذهب إليه الحداثيون من أن المعجزة الواردة في الإسلام إنما هي تخييل لجملة من الأدبيات الواردة في ديانات مختلفة، استطاعت الخروج من أسر الواقع، وأسر النص، فكان الحديث عن معجزات صناعية، قائمة على التخيل والإفراط فيه، ولا يمكن القول بوجودها على ناحية صحيحة، بل يمكن القول بأن الإيمان هو الذي خلق المعجزة.

يقول جورج طرابيشي^(٢): "إن الغياب التام للمعجزات النبوية في النص القرآني... قد أطلق العنان للأدبيات المعجزية اللاحقة لتتخيل وتلقط في التخيل، وهكذا لا تكون المعجزة في الإسلام قد انعقدت -مثلها مثل المعجزة في أية ديانة أخرى- من أسر الواقع وحده، بل كذلك من أسر النص، وهذا ما أطلق العنان في الإسلام المتأخر لظاهرة ارتداد تضخمية نحو النصوص التأسيسية؛ لتحميلها بشحنات متضاعفة من أدبيات خرق العادة"^(٣).

(١) الأستاذ محمد عزة دروزة: سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٤٩، عني بها ونظم صورها: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، منشورات الكتب العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) مفكر وكاتب سوري، ولد بمدينة حلب عام ١٩٣٩م، عمل مديرا لإذاعة دمشق لمدة عام، ورئيسا لتحرير مجلة دراسات عربية في الفترة من: ١٩٧٢ وحتى: ١٩٨٤م، ومحررا رئيسيا لمجلة الوحدة في الفترة من: ١٩٨٤ وحتى ١٩٨٩م، أقام فترة في لبنان، ثم غادر إلى فرنسا، له مؤلفات وترجمات كثيرة، منها: معجم الفلاسفة، وهرطقات، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث... توفي سنة ٢٠١٦م.

[https://www.alawan.org/author/10_alawan-org]
(٣) د. جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص ١٧٩.

من المؤكد أن عنوان الكتاب الذي وضع إطراره المعرفي جورج طرابيشي بين في دلالاته؛ حيث جعل (المعجزة) مقابل (سبات العقل)، وإذا كانت كلمة (معجزة) تعني -لدى المتكلم- خرق العادة لتأييد النبي الصادق، فإنها عنده نوع من الإلهاء بالخيالات، بل هي ضرب من السعي إلى تدبير الإنسان نفسه بنفسه.

ج- ويؤكد الجابري عدم ذكر القرآن لأي معجزة حسية للنبي صلى الله عليه وسلم من وجهة نظره، مستندا إلى طلب قريش المعجزة من النبي صلى الله عليه وسلم مرارا وتكرارا، ثم يأتي الجواب بالرفض، فيقول: "إن الشيء الوحيد الذي يفهم من القرآن -بأكمله- أنه معجزة خاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن لا غير، فالقرآن يكفي ذاته بذاته في هذا الشأن، والدليل على ذلك: أن كفار قريش قد أكثروا من مطالبة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإتيان بأية معجزة تخرق الكون، واستقرار سننه، كدليل على صدق نبوته، فكان جواب القرآن: أن مهمة محمد بن عبد الله هو أن يبلغ لأهل مكة (أم القرى) وما حولها رسالة الله إليهم (القرآن)، وليس من اختصاصه الإتيان بآيات معجزات خارقة للعادة"^(١).

مما سبق يتضح أن الجابري ينكر المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم؛ استنادا إلى عدم ذكرها في القرآن الكريم، ولو وقعت -فعلاً- لأبرزها القرآن الكريم، ودل عليها دلالة مباشرة، يستوي في فهمها العامي والمتخصص.

د- ويؤكد هذا الاتجاه خلو القرآن من الحديث عن معجزات حسية للنبي صلى الله عليه وسلم، الدكتور هيكل حيث يرى أنه "لم يرد في كتاب

(١) د. محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ج ١، ص ١٨٧.

الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة - على اختلاف عصورهم - برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلا القرآن الكريم، هذا مع أنه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أن أيدي من سبق محمداً من الرسل، كما أنه جرى بالكثير مما أفاء الله على محمد صلى الله عليه وسلم، وما وجه إليه الخطاب فيه، وما ورد في الكتاب عن النبي العربي لا يخالف سنة الكون في شيء^(١).

إن المتأمل في النص السابق يرى نزعة تعصبية؛ لأن الذي ذكر معجزات الأنبياء السابقين هو القرآن نفسه، والذي تحدث عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية، كانشقاق القمر، والإسراء، والمعراج، هو القرآن نفسه، فلماذا يقبل حديث القرآن عن معجزات الأنبياء السابقين، وينكر، أو يتأول ما ورد فيه من معجزات حسية للنبي خاتم البرية؟

ويؤكد الدكتور البوطي حقيقة مهمة، مفادها: "أن المسلم لا ينبغي له أن يتصور أن المعجزة الوحيدة في حياته - صلى الله عليه وسلم - إنما هي القرآن، مادام أنه لا ينكر أنه له - عليه الصلاة والسلام - سيرة يحاول أن يفهم حياته من خلالها، أما إن كان ينكر وجود هذه السيرة فإن عليه أن ينكر معجزة القرآن أيضاً؛ إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله المختلفة إلا من حيث بلغنا منه معجزة القرآن. والإقدام على التأويل هنا، وتسليم ذلك طبق ما يستهوي النفس، ويتفق مع الغرض، إسفاف غريب في تصنع البحث والفهم، لا يقدم عليه من كان كريماً على نفسه، معتزاً بعقله."^(٢)

(١) د. محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص ٥٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨م.

(٢) الدكتور محمد سعيد البوطي: فقه السيرة النبوية، ص ١٣، ١٤، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة العاشرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

ربما يكون الجواب: أنهم عجزوا عن الخروج من الأطر التي رسمها لهم المستشرقون، وتنادوا بها، دون أن يكون لهم وازع يصددهم عن هذا الضلال.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن بعضا ممن ألهبتهم ضمائرهم بسياطها بدل أن يعترفوا بما يعانونه تجاه معتقداتهم، أخذوا يسقطون أحوالهم على غيرهم، فيدعون أن المسلمين في حيرة من أمرهم تجاه فلسفة المعجزة والنبوة^(١)، فهم تجاه واقع قرآني صريح قائم على موقف سلبي من كل معجزة له، ثم يقررون أن علماء المسلمين من أهل السنة في حيرة أخرى متعلقة باختلافهم حول أوجه الإعجاز القرآني^(٢)، فالمسلمون في واقع مرير تجاه هذه المسألة^(٣).

أخلص مما سبق إلى أن زعم خلو القرآن من الحديث عن أية معجزة حسية للنبي صلى الله عليه وسلم زعم باطل؛ فالقرآن الكريم أقام موقفا إيجابيا من ناحية العرض والاستدلال، وظهرت فيه المناهجية بكل ما تستلزمه من دقة. ويشهد لذلك: أنه في معجزة الإسراء والمعراج تحدث عن العناصر الأساسية، حيث تناول الإسراء باعتباره من الأفعال الإلهية، والرسول صلى الله عليه وسلم، وهو المرسل من قبل الله، والزمان، وهو الإطار الذي جرى فيه الحدث، كما تحدث عن المكائين، باعتبار أن الأول منطقة الانطلاق، والثاني منطقة التوقف، كما تناول الظرف، وهو

(١) هؤلاء يتحدثون عن فلسفة المعجزة، وليس عن المعجزة، وعن فلسفة النبوة، وليس حقيقتها، وبالتالي فاستعمال كلمة (فلسفة) إخراج لهذه الجوانب المتعلقة بالنبوة، ودلائل إثباتها النقلية، والعقلية إلى أخرى شكلية، تتعلق برفض كل ميثافيزيقيا تأملية موضوعها (الله): ذاتا، وصفاتا، وأفعالا، ويعتقدون فقط بالميتافيزيقيا النقدية، القائمة على الملاحظة والتجربة.

(٢) من الثابت أن مفكري المسلمين لم يختلفوا في أوجه إعجاز القرآن الكريم، لكنهم ذكروا وجوها، كلٌ باعتبار ما وفقه الله إليه، فالبلاغيون يذكرون وجوه إعجاز بلاغية، والنحويون والصرفيون، وعلماء العقيدة، والمفسرون، والمحدثون، وبالتالي فهو ليس اختلاف، بل تكامل.

(٣) راجع ما كتبه الأب يوسف الحداد في كتابه: معجزة القرآن، تحت عنوان: فلسفة أهل العصر في النبوة والمعجزة، ص ١٠، مركز الكلمة المسيحي www.alkdema.net

(ليلاً)، وعليه، يكون الموقف الإيجابي للقرآن الكريم قد بينت مظاهره في معجزة الإسراء.

ثانياً - الاعتقاد بضرورة المعجزات الحسية لتأييد خير البرية.

يذكر الحداثيون أن القرآن الكريم لم يذكر معجزة حسية للنبي صلى الله عليه وسلم، بل ولم يحدث ذلك فعلاً، ولعل الذي دعا المسلمين إلى إثبات معجزات حسية له صلى الله عليه وسلم هو الإيمان بأن المعجزات ترفع من قدر النبي، وتعلي شأنه، ومكانته.

يقول هيكل: "... فأى داع دعا طائفة من المسلمين، فيما مضى، ويدعو طائفة منهم اليوم إلى إثبات خوارق مادية للنبي العربي؟ إنما دعاهم إلى ذلك أنهم تلووا ما جاء في القرآن عن معجزات من سبق محمداً من الرسل، فاعتقدوا أن هذا النوع من الخوارق المادية لازم لكمال الرسالة، فصدقوا ما روي منها، وإن لم يرد في القرآن، وظنوا أنها كلما ازداد عددها كانت أدل على الكمال، وأدعى إلى أن يزداد الناس بالرسالة إيماناً"^(١).

لقد أقام هيكل سؤاله، وأجاب عليه بجواب، عدّه مُسلِّماً، ولم يقدّم دليلاً على صدقه، فيطالب المنع^(٢)، ويضاف إلى ذلك ما ذكره، وضمنه مقولته السابقة، حيث قال: أراد الله أن تكون معجزة محمد معجزة إنسانية عقلية... هذه المعجزة هي القرآن... ولو أراد أن تكون المعجزة المادية وسيلة إلى اقتناع من نزل الإسلام على رسوله بينهم لكانت، ولذكرها في كتابه، لكن من الناس من لا يصدقون إلا بما يقره العقل"^(٣).

(١) هيكل: حياة محمد، ص ٥٩.
(٢) المنع: هو طلب الدليل على مقدمة معينة. [الجرجاني: الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة، ص ٣٥].
(٣) هيكل: حياة محمد، ص ٥٩.

إن هيكل -وهو يسعى للاحتواء بالعقل وأحكامه- غاب عنه أن سحرة فرعون لما رأوا بأعينهم المعجزات الحسية حكمت عقولهم بأنه نبي، لمجرد المشاهدة، فكانت المعجزة الحسية لموسى عليه السلام وسيلة لإقناعهم، ويضاف إليه أن القرآن الكريم معجزة حسية عقلية، فهي حسية في حروفه وكلماته، عقلية في منطوقه، ودلالاته، إنسانية في معالجتها للقضايا.

ويضاف إلى ما سبق أن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية قد ثبت بعضها منها بالقرآن الكريم، وآخر بصحيح السنة المطهرة، وصارت متواترة بالمعنى، وتداولها أهل العلم في مؤلفاتهم، وما ورد في بعض الكتابات التي ظهرت لدى المؤرخين وأصحاب التراجم، والأخبار، ونسب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات ما لا يمكن قبوله؛ اتجاه غير مقبول، نبه إليه العلماء، وبينوا زيف هذه المروييات، حيث أوضحوا المنهج المعتمد في الأخذ عنه صلى الله عليه وسلم، حيث قال: "لا تكذبوا عليّ؛ فإنه من كذب عليّ فليلج النار"^(١)، وقال -أيضا- "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"^(٢).

ولا يقع ما ذكره هؤلاء موقع القبول، وأعداء الإسلام يعمدون إلى هذه الآراء الضعيفة، فيأخذونها، وينسبونها إلى مفكري المسلمين، باعتبارها آراء معتمدة لديهم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (العلم)، باب: (إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم (١٠٦)، ج ١، ص ٣٣.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الجنائز)، باب (ما يكره من النياحة على الميت)، رقم (١٢٩١)، ج ٢، ص ٨٠.

ثالثاً - ثقافة الفتوحات الإسلامية.

يعتقد الحداثيون أن وجود المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم فرضتها ظروف زمانية، وأخرى اجتماعية، وثالثة نفسية، ويدلون على مقولاتهم بأن العرب عندما نزل القرآن الكريم إنما نزل بلغتهم العربية، وقد نص في بعض آياته على عبارة (يعقلون)، ومن المؤكد أن شعوب البلدان المفتوحة، وبخاصة الأعجمية، ما كان لها أن تعقل قرآنا عربيا، وهم يجهلون العربية.

يقول طرابيشي: "إن شعوب البلدان المفتوحة ما كان لها أن تعقل؛ لأنها كانت تجهل العربية جهلا تاما، وبانتظار أن تستعرب نخبها المثقفة، ابتداء من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وتشرع بعملية تقنين الإعجاز القرآن... فإنه ما كان لتلك الشعوب الأعجمية أن تأخذ طريقا إلى الإسلام، وتدخل في دين الله أفواجا، اقتناعا، وليس فقط - استكراها^(١) إلا من باب المعجزات الحسية، التي لم يكن ثمة مناص من أن تنسب إلى الرسول، ويمكن القول بأن تلك الشعوب هي التي فرضت بيئتها القديمة على الدين الجديد، وليس الإسلام هو الذي فرض عليها بيئته الأولى، القابلة للوصف بأنها رسالية"^(٢).

البيّن أنه يسعى - من طرف خفي - إلى التأكيد على أن المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم إنما هي أساطير قامت في الشعوب

(١) صياغة تلك المفردات دالة على أنه يضع السم في العسل، فهو يقر بأن الشعوب الأعجمية أخذت طريقها إلى الإسلام، ودخلت فيه أفواجا، ويستخدم عبارة (اقتناعا، وليس استكراها)؛ حتى تشير من طرف خفي إلى أن المسلمين أجبروا هؤلاء على الدخول في الإسلام أول الأمر، وهو على يقين بأن المسلمين ما دخلوا هذه البلاد سوى معمرين، وبناء على رجاءات المستضعفين الذين يعيشون في مظلة الأحكام القاسية، ويريدون التخلص منها.

(٢) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص ١٦٦.

الأعجمية، قبل أن يفتحها المسلمون، الذين تقبلوها، وفرضت عليهم، وساروا يعنتقونها، مع إدراكهم أنها ليست من الإسلام في شيء. ويضاف إلى ما سبق: أن ما ذكره طرابيشي لم يسلم له، يشهد لذلك: أن فكرة وقوف المسلمين العجم على فهم القرآن وتعلقه حتى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري لم تقم على دليل، بل بالعكس؛ إذ الثابت أن كل من دخل الإسلام منهم، فهم العربية، وأجادها، وبخاصة عندما شجعهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولم يجرؤ أحد منهم على صناعة معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم لم تحدث.

كما أن الزعم بكون المعجزات الحسية وليدة الفتوحات الإسلامية منقوض بالواقع، يشهد لذلك أن معجزاته صلى الله عليه وسلم الحسية كثيرة، منها ما قد تم في مكة، كالإسراء، والمعراج، وانشقاق القمر، وخروجه سالما ليلة الهجرة، رغم وجود أعداد غفيرة بباب منزله من الرجال الأشداء، فكيف يقع الزعم بأن المعجزات الحسية اقتضتها ظروف البلاد المفتوحة الناطقة بغير العربية.

وبناء عليه، تكون معجزاته صلى الله عليه وسلم قد تمت حال حياته، وقد حفظت هذه الخوارق الحسية بأسانيدها، ولو كان هناك أمر آخر لسارع أعداء الإسلام إلى إذاعته وإعلانه، ولواجهوا المسلمين به، وقاتلوه عليه؛ إذ كان ذلك أدعى لهم وأيسر، ولكنهم لم يفعلوا، فدل الأمر على أن ذلك كان له صلى الله عليه وسلم حال حياته.

وأخلص مما سبق إلى أن ما ذهب إليه الحداثيون في إنكار المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم قد أقيم على عملتين:

إحداهما: الأفكار السلبية التي تلقوها عن كتابات نسبت للإسلام والمسلمين، وهي ليست صحيحة في مبانيها، ومعانيها، والمنهج العلمي

يقتضي تحري المسائل المعروضة، وعدم تبني مواقف لم تقم أدلة على صحتها.

ثانيهما: رغبة كثير منهم في إدانة الإسلام والمسلمين، كيدا، وحقدا، وحسدا، وذلك لأن المنهج العلمي يقتضي التثبت من المعلومات التي ترد إلى العقل عن طريق البرهان، كما أن بعضهم -في حديثه عن المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم- حاول أن يسقط عليها ما يتعلّق بنقد خوارق العادات والعجائب التي امتلأ بها الكتاب المقدس، وهذا أمر غير مقبول؛ لأن عملية الإسقاط هذه مرفوضة بكل وجوهها؛ لأن ما عند اليهود والنصارى مشكوك في سنده إلى سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام.

وحيث انتهيت من الحديث عن أبرز شبهاتهم حول معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية، وانتهيت -كذلك- من مناقشتها؛ فإني أنتقل -الآن- إلى الحديث عن خاتمة هذا البحث، وهو ما سيرد إن شاء الله تعالى.

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج

- ١- أن ما يتعلق بالحدائفة، وإن لم يكن مقبولاً، إلا أنه مما تجب مقابلته، باعتبار أن المترتب عليه ينال العقيدة الإلهية، كما ينال القيم والأخلاق، وقد شرع الله بيان ذلك، فهو مما يدخل في نطاق الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
- ٢- أن الحدائين صنفوا أنفسهم بالاعتبارات المختلفة، فتارة تراهم يخاطبون الرأي العام بأنه ليس مستعداً لخطابهم، ويدعون إلى المنهجية، وهم أبعد ما يكونون عنها، وتغلب عليهم سمات التعالي التي تدور في التراث اليهودي، على أقل تقدير، فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار، وأن باقي الأرض أهلها من الأمميين، وما أسوأ استعباد الإنسان أخيه الإنسان تحت مظلة الإيمان!.
- ٣- أن الفكر الحدائى في الوقت المعاصر ظهرت فيه بذور وثمرات سابقة، بمعنى أنه ليس وليد ثقافة علمية مقبولة، ولا هو من بنات أفكاره، وإنما هو رجع صدى لأفكار قديمة، وشبهات عرضت من قبل.
- ٤- أن هؤلاء يعتمدون على مصادر ثانوية، ويعتبرونها مصادر أساسية تخصصية، وبالتالي، ينسبون كل ما فيها للإسلام، ويحكمون عليه من خلالها.
- ٥- أن حديثهم عن معجزات الأنبياء على وجه العموم، ومعجزات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص؛ فيه إعلان صريح بأنهم لا يتوجهون إلى النصوص الدينية نظرة من طلب السلامة، ويبحث عن الحقيقة، وإنما ينظرون إليها نظرة من يبحث عن العورات فيكشفها.

٦- المتأمل للفكر الحدائى المتعلق بالجانب العقدي والأخلاقى يقف على أوجه الشبه بين حدائى الشرق وحدائى الغرب، مما يثبت علاقة التأثير والتأثر، ويثبت معه تتلمذهم على أيدي هؤلاء، وتأثرهم بتوجهاتهم، حتى ساروا نقلة لأفكارهم.

ثانيا: التوصيات:

١- ضرورة مقابلة الفكر الحدائى من غير تهيب منه، أو تخوف؛ فهم لا يؤمنون بالمقدس، ولا يعتقدون في المنزل، ومن ثم، فإن التساهل في التعامل معهم تكون له نتائج سلبية، قد لا تحمد عاقبتها.

٢- ضرورة قيام دراسات علمية حول الفكر الاستغرابى، والاستشراقى، من حيث إنهما ينتجان ما يسعى لتشويه صورة الإسلام، ويعمل ضده باستمرار.

٣- الالتفات إلى الدراسات الحدائية، من ناحية مضمونها، ومفهومها؛ لأنه إذا ما تم توظيفه على ناحية صحيحة وقعت الاستفادة منه، أما إذا عكس الأمر، ظهرت خطورته في الأجيال القادمة.

٤- التأكيد على أن المشكلات الحدائية مفتعلة، سواء أكانت الحدائة تمثل العقلانية أو غيرها، فالمسألة ليست في التسميات، وإنما المشكلة تكمن فيما بعد هذه، فكلما أمعن الناس في تناول تلك الجوانب توارى الحدائون، أما إذا تركوا فإن خطرهم يقوى؛ إذ ليس أفسى على المرء المسلم من أن ينال أحد عقيدته، ويبعده عن ربه.

٥- تكوين لجان علمية من المفكرين المسلمين تهتم برصد الظاهرة الحدائية من جميع جوانبها، وتعتمد إلى مناقشتها، والتنبيه على زيفها، وإصدار مجالات متخصصة، ومواقع، وقنوات إلكترونية، يعلن عنها، وتعرف للجميع، بحيث تصبح المرجع والأساس في مواجهة هذا الفكر الضال.

أهم المصادر والمراجع

أولاً- القرآن الكريم وعلومه

*- الزمخشري: العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو. ت (٥٣٨هـ).

١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

*- الطبري: الإمام محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، ت (٣١٠هـ)

٢- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

*- المراغي: الإمام أحمد بن مصطفى ت (١٣٧١هـ)

٣- تفسير المراغي، طبعة الحلبي الأولى ١٣٥٦هـ / ١٩٤٦م.

ثانياً- السنة النبوية وعلومها

*- ابن حجر: العلامة أبو الفضل العسقلاني

٤- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

*- البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله ت (٢٥٦هـ)

٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

*- البيهقي: الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ت (٤٥٨هـ)

٦- السنن الكبرى، تحقيق: محمد عطا عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٣م.

- * - مسلم: الإمام أبو الحسن القشيري النيسابوري ت (٢٦١هـ)
٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) تحقيق: الأستاذ. محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

المراجع العامة

- * - ابن الساعي: تاج الدين، وعلي بن أنجب
٨- الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق: أحمد شوقي بنين، ومحمد سعيد خشبي، دار الغرب الإسلامي بتونس، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

- * - ابن تيمية: الشيخ تقي الدين أحمد الحراني
٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة بالسعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- * - ابن رمضان: محمد خير
١٠- تكملة معجم المؤلفين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- * - أبو فرحة: الدكتور جمال الحسيني
١١- ميزان النبوة، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

- * - الأسفراييني: الإمام طاهر بن محمد ت (٤٧١هـ)
١٢- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- * - إبراهيم: الدكتور صلاح عبد العليم.
- ١٣- العقيدة في ضوء القرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
- * - البوطي: محمد سعيد رمضان.
- ١٤- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، الطبعة العاشرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- * - النفتازاني: العلامة سعد الدين مسعود بن عمر ت (٧٩٣هـ)
- ١٥- شرح المقاصد، تقديم وتعليق: الشيخ. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠١١م.
- * - تورين: ألان
- ١٦- نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧م.
- * - الجابري: الدكتور. محمد عابد
- ١٧- مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
- * - جرار: الأستاذ سمير أحمد
- ١٨- التربية العربية ومأزق الثنائية المتوهمة، الحداثة والتغريب، ضمن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، العرب والتربية والعصر الجديد، الكتاب السنوي الثالث عشر، الكويت ١٩٩٧ - ١٩٩٨م.
- * - جعيط: هشام
- ١٩- في السيرة النبوية (الوحي والقرآن والنبوة)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
- * - جونغوري: الشيخ عبد الرشيد

- ٢٠- شرح الرشيدية على الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة للسيد الشريف الجرجاني، وعليها تحقيقات وشروح للأستاذ. علي مصطفى الغرابية، مكتبة الحسين بالقاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م.
- الحرمين: الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، ت (٤٧٨هـ).
- ٢١- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: د/ محمد يوسف موسى وآخرون، مكتبة الخانجي ١٣٩٦هـ / ١٩٥٠م.
- *- حنفي: الدكتور. حسن
- ٢٢- من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي بالقاهرة.
- *- دراز: الدكتور. محمد عبد الله
- ٢٣- الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، دار القلم بالكويت ١٤٠٠هـ م ١٩٨٠م.
- *- دروزة: الأستاذ. محمد عزة
- ٢٤- سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم، عني بها ونظم صورها: عبد الله إبراهيم الأنصاري، منشورات الكتب العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.
- *- الرازي: العلامة فخر الدين محمد بن عمر
- ٢٥- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، وبذيله تلخيص المحصل للعلامة. نصر الدين الطوسي، تقديم ومراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.
- *- الزركلي: العلامة خير الدين بن محمد بن محمود بن علي بن فارس

٢٦- الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة، مايو ٢٠٠٢م.

*- السكران: الدكتور إبراهيم

٢٧- التأويل الحدائى للتراث: التقنيات والاستمدادات"، مركز تفكر للبحوث والدراسات، الطبعة الثانية ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧م.

*- السلاوي: أبو سفيان مصطفى باحو

٢٨- العلمانية والمذهب المالكي، جريدة السبيل بالمغرب، الطبعة: الأولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م.

*- السنوسي: الشيخ محمد بن يوسف

٢٩- شرح أم البراهين، ومعه حاشية الشيخ. محمد ابن أحمد بن عرفة الدسوقي، طبعة الحلبي الأخيرة ١٣٥٨ هـ م ١٩٣٩م.

*- سيف النصر: الدكتور. عبد العزيز

٣٠- نظرية السببية في الفكر الكلامي الإسلامي، مطبعة الجبلوي، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

*- شحرور: الدكتور. محمد

٣١- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر، سوريا، دمشق، بدون تاريخ.

*- الشهرستاني: الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت (٥٤٨هـ)

٣٢- نهاية الإقدام في علم الكلام، تحقيق: الفردجيوم، مكتبة زهران.

*- الصاوي: الشيخ أحمد

٣٣- حاشية علي شرح الخريدة البهية، وبالهامش شرح الخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير، طبعة الحلبي ١٩٤٧م.

*- صبري: الشيخ مصطفى

- ٣٤- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار الآفاق العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- *- طرابيشي: الدكتور. جورج
- ٣٥- المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، دار الساقى، بيروت، لبنان، بالاشتراك مع رابطة العقلايين العرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
- *- عبد الجبار: القاضي أبو الحسن بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمزاني ت (٤٢٥هـ)
- ٣٦- تثبيت دلائل النبوة، ضبط وتحقيق: الدكتور. أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الحديثية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٩٢هـ / ٢٠٠٨م.
- *- عبد الحميد: الدكتور أحمد مختار، ومساعدة فريق عمل
- ٣٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- *- العقاد: الأستاذ عباس محمود.
- ٣٨- التفكير فريضة إسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.
- *- عصفور: الدكتور جابر
- ٣٩- إسلام النفط والحداثة، ضمن الإسلام والحداثة، دار الساقى، لندن.
- *- الغمراوي: الدكتور محمد أحمد، والدكتور أحمد عبد السلام الكردي.
- ٤٠- الإسلام في عصر العلم "الدين - الرسول - والكتاب"، دار الكتب الحديثة ١٩٨٧م.
- *- القرطبي: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت (٦٧١هـ)

٤١- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: الدكتور. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي بالقاهرة، بدون تاريخ.

*- القرني: عوض بن محمد

٤٢- الحداثة في ميزان الإسلام "نظرات إسلامية في أدب الحداثة"، تقديم: الشيخ. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، هجر للطباعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

*- المالكي: الشيخ. عبد السلام

٤٣- إتحاف المرید بشرح جوهرة التوحيد، معه حاشية العلامة محمد بن محمد الأمير، طبعة الحلبي الأخيرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م.

*- محمد: الدكتور. زكي مصطفى وآخرين

٤٤- دعوى تاريخية النص القرآني عند الحداثيين العربي، مجلة الميزان، جامعة العلوم.

*- المقدسي: العلامة ابن قدامة

٤٥- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

*- النحوي: الدكتور. عدنان رضا

٤٦- كتاب الحداثة في منظور إيمان، دار النحوي بالسعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

*- النورسي: الشيخ سعيد

٤٧- المعراج النبوي "ضرورته، حقيقته، حكمته، ثمراته"، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

*- هيكل: الأستاذ. محمد حسين.

٤٨ - حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع
١٩٩٧م.

* - الهاشمي: الشيخ صالح بن الحسين الجعفري، ت (٦٦٨هـ)

٤٩ - تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تحقيق: محمود عبد الرحمن
قدح، مكتبة العبيكان بالرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة
الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

* - وطفة: الدكتور. علي

٥٠ - مقاربات في مفهوم الحادثة وما بعد الحادثة، مجلة فكر ونقد
بالمغرب، العدد ٤٣ نوفمبر ٢٠٠١م.

رابعا: المواقع الإلكترونية

* - مركز الكلمة المسيحي: www.alkdema.net

* - الموقع الرسمي للدكتور. محمد شحرور:

<https://shahrour.angi.?p>

[10alawan-orgw/author/www.alawan.org//Https:-](https://www.alawan.org/)